المدن الإسلامية المبكرة

(دراسة تحليلية للجانب التخطيطي والوظيفي)

د. عادل المبروك المختار الفار
دكتوراه في الآثار الإسلامية
أستاذ مساعد بقسم الآثار / كلية الآداب والتربية / جامعة صبراتة

ملخص الدراسة

تتناول هذه الدراسة تحليلاً مفصلاً عن المدن الإسلامية المبكرة من حيث تعريف المصطلح في اللغة وفي القرآن الكريم وكذلك في نظر الفقهاء والرحّالة والمؤرخين، ثم الانتقال الى دراسة نشأة وتتطور المدن في الفترة الإسلامية المبكرة منذ بداية إنشاءها في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وحتى بدايات العصر العباسي، لينتقل البحث بعد ذلك الى دراسة أنواع تلك المدن وعوامل نشأتها وخصائصها العامة ومتطلبات نشأتها، كل ذلك سيثبت بشكل كبير أصالة الفكر المعماري عند الساسة والمعماريين المسلمين، وأن المدن الإسلامية عموما لم تكن عشوائية كما ذكر المستشرقين الأجانب، وإنما تم بنائها على أسس دقيقة سبق بها العرب المسلمون أقرانهم في تلك الفترة المتقدمة.

Study summary

This study deals with a detailed analysis of the early Islamic cities in terms of defining the term in the language and in the Holy Qur'an, as well as in the view of jurists, travelers and historians, then moving on to studying the emergence and development of cities in the early Islamic period from the beginning of their establishment in the era of Caliph Omar Ibn Al-Khattab until the beginning of the Abbasid era. The research will then move to a study of the types of these cities, the factors of their emergence, their general characteristics, and the requirements for their emergence, all of which will greatly prove the authenticity of architectural thought among Muslim politicians and architects, and that Islamic cities in general were not random as mentioned by foreign orientalists, but rather were built on precise foundations that the Arabs had previously Muslims are their peers in that advanced period.

لقد خلق الله تعالى الإنسان بشكل لا يمكنه معه العيش بمفرده، بل لابد له من الاجتماع بغيره حتى يتمكن من الحصول على الهيئة الاجتماعية التي تُمكّنه بدورها من الحصول على كافة متطلباته الحياتية التي لا تتأتّى له بشكل منفرد، إنما هي نتيجة تظافر جهود لفئات مختلفة من البشر سخر الله تعالى لكل منها القيام بجزئية من الجزيئات التي تسهم في توفير الحاجات البشرية التي ينتفع بها المجتمع ككل، وبذلك يتم الحصول على الهيئة الاجتماعية التي تختلّ إن فُقد عنصر واحد منها، هذه الهيئة الاجتماعية كان لابد لها من مقومات أخرى لكي تكتمل، فذلك المجهود البشري المتكامل لو وُجد في العراء لم يأمن أن ينهار بسبب عدم وجود مكان يحميه من مختلف الظروف سواءً أكانت طبيعية أو بشرية، لذا جاءت الحاجة إلى وجود مكان محصّن يضمن استمرار الحياة البشرية، فألهم الله البشر عدة أساليب للتحصين ضد تلك المخاطر بالأسوار والخنادق، وبذلك وُجِدت المدن والقرى، من هنا جاءت الحاجة الداعية لإحداث التجمعات السكانية والتي أتناول في هذا السياق أحد أنماطها – إن لم يكن أكبرها على الإطلاق– وهو المدن، وذلك في فترة زمنية محددة وهي العصور الإسلامية المبكرة التي شهدت ظهور أشكال ومخططات مبتكرة ربما لم تخرج عن السياق القديم لمسببات ظهور تلك التجمعات، لكنها شهدت تطوراً كبيراً ونقلة نوعية للتصميم الحضري المنسجم مع متطلبات إنشاء المدن.

لكن وقبل الخوض في تفاصيل تخطيط المدن خلال الفترة الإسلامية الأولى والممتدة من بداية ظهور الدعوة الإسلامية وحتى بدايات العصر العباسي، لابد من تسليط الضوء على المعنى اللغوي لمصطلح " مدينة " وما أصلها، وما هو الكيان الذي يصح أن يحمل أسم مدينة.

تعريف المدينة: لقد وردت في الدراسات المتعلقة بالمدنية والتمدن العديد من المصطلحات والمفاهيم المتباينة الدالّة على معنى مصطلح "مدينة"، هذا التباين أدى إلى اختلاط الأمر لدي الدارسين الاجتماعيين عند محاولتهم إيجاد مفهوم محدد للمصطلح، فالمدينة في تاريخ الحضارة مُختَلفٌ في تعريفها، وغير مُتّفَقٌ حول الكيان الاجتماعي أو المعماري الذي يصحّ أن يُطلق عليه اسم مدينة، فمثلاً الحصون الكبيرة سُميّت مدناً لأنها تشتمل على جميع مرافق الحياة، والمحلّات الكبيرة سُميّت مدناُ كما في المدينة الآرامية القديمة في بلاد ما بين النهرين والتي سُميت بعد ذلك (المدائن) لاستقلال

محلاتها عن بعضها وسعتها، وكذلك سُميت البلدان الكبيرة مُدناً في بعض الأحيان[1]، من هنا كان من الصعب على المؤرخ أو الجغرافي أو المتخصص في علم الاجتماع أن يفهم فحوى كلمة مدينة حين يصف بها موضع من المواضع.

وحتى نفهم بالتحديد ما المعاني التي تحملها الكلمة لابد لنا من أن نُلقي نظرة سريعة ومختصرة عن المعاني الشتّى لها والواردة في بعد المصادر العربية، التاريخية منها واللغوية، فدلالة الكلمة تشير بالأساس إلى أنها مأخوذة من كلمة "دين"، حيث نجدها بهذا المعنى في اللغة الآرامية القديمة وهذا يدل على المعنى السامي للكلمة، كما عُرفت المدينة عند الأكاديين والأشوريين بالدين أي القانون، حتى أن اسم الفاعل من الدين هو "الديّان" في اللغات السامية وهي بمعنى القاضي .[2]

أمّا في اللغة العربية فالمدينة – وجمعها مُدن ومدائن– لها معانٍ كثيرة، فهي الحصن الذي يُبنى وسط الأرض، وهي القرية كثيرة السكّان، والمِصر الجامع[3] ، ويُقال "مَدِنَ" بالمكان أي أقام به، و"مَدّنَ" المدائن أي بناها، و"تمدّن" الرجل أي تخلّق بأخلاق أهل المدينة، والمدينة على وزن "فَعِيلَةٌ" لأنها من مَدِنَ أي أقام.[4]

وفي المجمل فإن للمدينة في اللغة معانٍ عديدة يصبّ جميعها تقريباً في أنها المكان المبني والمُحصن والمأهول بالسكان والذي يسوده النظام ويحكمه القانون المتمثل في القضاء.

المدينة في القرآن الكريم: لقد ورد لفظ المدينة في القرآن الكريم في العديد من المواقع، وقد أشارت تلك المواقع إلى معانٍ مختلفة لم تتعارض مع بعضها من حيث المقصد وإنما أوضحت مفاهيم مختلفة ساعدت الباحثين في توضيح الرؤيا لفهم الدلالات اللغوية للكلمة، وأسرد هنا بعض الآيات القرآنية التي وردت بها الكلمة مبينة جانب معين من جوانب معناها الاصطلاحي، ففي الآية **(123)** من سورة الأعراف يقول الله تعالى: "قَالَ فِرْعَوْنُ ءآمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ "، ويبدو أن معنى المدينة هنا يشير إلى المكان المأهول بالسكان والذي يجتمع أهلها أو فريق منهم للتشاور في المواضيع المتعلقة بهم، وفي الآية **(101)** من سورة التوبة يقول عزّ وجلّ:– " وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا

تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ "، والمقصود بكلمة المدينة هناهي المدينة المنوّرة مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وهو الأمر الذي يُفهم من خلال السياق، أمّا في الآية **(19)** من سورة الكهف فيقول الله تعالى على لسان أصحاب الكهف:- ....." فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا"، واللفظ يدل هنا على المكان المأهول والذي يُمثّل أيضاً مركزاً تجارياً وسوقاً للتبادل التجاري أو التعامل بالنقود كأساس لذلك التعامل، وورد في الآية (48) من سورة النمل قوله تعالى :- " وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ "، والمقصود هنا التجمع السكاني المأهول والذي يتفق فيه السكان على العقيدة والرأي ما يشير – على الأغلب- إلى نظام سياسي أو ديني أو اجتماعي أو فكري يوحدهم.

أما المعنى الذي يُعدّ الأقرب إلى الجانب المعماري والتخطيطي لمصطلح المدينة في القرآن الكريم فهو ما ورد في الآية (82) من سورة الكهف، إذ يقول تبارك وتعالى :- " وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا " وهي الآية التي يفسر فيها الله تعالى على لسان سيدنا الخضر لسيدنا موسى عليه السلام ما ورد في الآية الأسبق عندما قام سيدنا الخضر بترميم البناء المتهالك في المدينة رغم بُخل أهلها ورفض استضافته مع نبي الله موسى، فيقول الله تعالى في الآية (77) من نفس السورة :- " فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ "، فالحديث عن الجدار هنا له مدلولات عديدة، فهو يدل على البناء المُحكم الذي هو أحد سمات المدن، كما أن الجدار لابد أن يكون مبنياً بالطوب أو الحجارة أو اللبِن، مما يشير حتماً إلى وجود أسلوب معماري معين فيها، كما أن قيام الخضر عليه السلام بترميم الجدار يشير إلى وجود خبرات بنائية، وأن البناء الأصلي لا يختلف كثيراً عن النسخة المُرممة من الجدار إذ غالباً ما يتم استعمال مواد البناء نفسها للجدار أثناء عمليات الترميم، هذه المواد التي تكون محلّية غالباً وليست مستوردة.

المدينة في نظر الفقهاء : لقد عرّف بعض فقهاء الإسلام المدينة على أساس ديني بحت، حيث أنه ومن الواضح تأثير فكرة نشأة المدينة الأولى في الإسلام وهي المدينة المنورة على فكرة التمدن لديهم،

فقد كان الغالب عند هؤلاء اقتران اسم المدينة بإقامة الصلاة الجامعة اعتماداً على الحديث النبوي :- (لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى إلا في مصرٍ جامع)[5] ، وربما كان ذلك في بداية تأسيس الدولة الإسلامية عندما كانت المدينة المنورة المركز الديني الوحيد، وكان المسجد النبوي قادر على استيعاب جموع المصلّين، وأيضاً ربما كان ذلك نظراً لحداثة العرب بالإسلام الأمر الذي دفع النبي صلّى الله عليه وسلم إلي حظر الصلاة الجامعة خارج المسجد النبوي حتى يأخذ المسلمين دينهم الصحيح من المنبع، وبعد انتشار الإسلام و ترامي أطراف الدولة الإسلامية لم يتخلَّ الفقهاء –على ما يبدو– عن الفكرة، فظلّوا ينادون بإقامة الصلوات الجامعة في المدن ما أمكن وذلك نظراً لاعتبارات عدة منها وجود العدد الأكبر من الناس في المدن مقارنةً بالأرياف والضواحي، وكذلك حفاظاّ على وحدة وعقيدة المسلمين من التشظي والضعف، ووجود الأئمة والشيوخ الثُقاة في المدن غالباً الأمر الذي يحافظ بشكل كبير على استمرار نجاح النموذج الرائد وهو المسجد النبوي في المدينة المنورة.

وبشكل عام يمكن استنتاج بعض التعريفات الأخرى لمصطلح المدينة والتي كانت إشارة الفقهاء لها ضمنياً، فتعريف الكلمة على أنها المكان المحدد للصلاة دون غيره يمكن أن يُفهم منه أنه المكان مجتمع المنازل بالرغم من عدم تحديد عدد معين لها أو للناس القاطنين بها، كما أن للتعريف لديهم أبعاد أخرى –إضافة إلى البعد الديني– كبعد الإقامة الدائمة، والبعد المعماري المتمثل في وجود جامع أو مسجد جامع بمواصفات معمارية تمكنه من استيعاب الأعداد الوافدة للمصلين من خارج المدينة، وأيضاً البعد التنظيمي من خلال أن الصلاة الجامعة لا يمكن أن تُقام إلا بوجود نظام سياسي وديني واجتماعي محكم وهو ما يعد ضرورة من ضرورات إقامة المدن والأمصار.

المدينة عند بعض المؤرخين والرحّالة المسلمين : لقد تباينت آراء الرحالة والمؤرخين العرب حول المدينة وتعريفها على وجه التحديد، غير أن التشابه الواضح كان سائداً في المعايير الوضعية لها والتي وافقت بشكل كبير المصادر اللغوية والفقهية الواردة آنفا، ما يؤكد البعد الفقهي والثقافي واللغوي الذي تميز به أولئك الرحّالة والمؤرخين، فابن منظور على سبيل المثال يُعرّف المدينة بأنها: (هي الحصن يُبنى في أصطُمَة من الأرض، وكل أرض يبنى عليها حصن في أصطُمَتها فهي مدينة[6](، فنرى هنا أن معنى المدينة لدى ابن منظور يتحقق من خلال عاملين اثنين، أولهما هو التحصين

والمنعة، أما الثاني فهو وجودها على أصطُمَة وهي المكان المرتفع والمُشرف على ما حوله من الأرض، أما ابن خلدون فكانت نظرته للمدينة أقرب إلى الجانب الاجتماعي حيث يذكر في مقدمته أن المدينة مرتبطة أساساً بالدولة من ناحية البقاء والازدهار، وأن المدينة هي المكان المسوّر الذي يقطنه الناس، وفير الماء والكلأ والأرزاق [7]، في حين نجد الجغرافي العربي الكبير محمد المقدسي يضع تعريفاً عامّاً وشاملاً للمدينة فيقول : (المدينة هي كل بلدٍ جامع يُقام فيه حدود ويحلّه أمير أو سلطان أعظم، وتُجمع فيه الدواوين، وتُقلّد منه الأعمال.[8])

نبذة عن نشأة وتطور المدن العربية الإسلامية:

لقد كانت ظروف نشأة المدن العربية بشكل عام مشابهة تقريباً لظروف نشأة غيرها من المدن، إلّا أنها تأثرت –أي المدن العربية– إلى حد كبير بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني وكذلك بالواقع الإقليمي الذي نشأت فيه، فنظراً لامتداد رقعة العالم العربي الكبير، ولأن أهم المدن العربية التي نشأت قبل البعثة الإسلامية كانت على السواحل وفي مفترق الطرق، لذا فقد لعبت دوراً كبيراً في ربط قارات العالم القديم اقتصادياً وسياسياً وحضارياً، وساعد في ذلك بالطبع الموقع الاستراتيجي المتوسط الذي يشغله العالم العربي في خارطة العالم القديم آنذاك، أما في الجانب التخطيطي والوظيفي لتلك المدن إبّان تلك الحقبة فتجدر الإشارة إلى أنها تأثرت بشكل واضح بالمدن الرومانية واليونانية من حيث المخطط العام والتوزيع المكاني لمكوناتها المعمارية، وكذا الخدمات التي تقدمها المدينة لمتساكنيها وأسلوب السكن فيها [9]، وكذلك جملة من التفاصيل الأخرى التي لا يوجد مجال في هذا السياق للخوض فيها لأن الحديث هنا عن نشأة المدن الإسلامية على وجه الخصوص .

وبالحديث عن المدن العربية في العصر الإسلامي فقد مرت في مراحل تكوينها بالعديد من الظروف التي أملتها عوامل عدة مرتبطة بالجانب التقني المتمثل في مدى إلمام المسلمين في المراحل المبكرة من نشأة الدولة الإسلامية بطرق وأساليب البناء والتوزيع الحضري للمدن، وكذلك الجانب الدعوي والذي لم يوفر للمسلمين آنذاك الوقت للاستقرار والذي هو أساس النهضة، بيد أن هذه الجوانب وغيرها استطاع المسلمون التغلب عليها شيئاً فشيئاً بمرور الوقت كما سنرى لاحقاً، وعلى هذا الأساس يمكن أن نقسم المدن الإسلامية من حيث خطوات نشأتها إلى الأنواع الآتية :–

النوع الأول : المدن التي كانت قائمة قبل الإسلام واستوطنها المسلمون

من الصعب تحديد الملامح العمرانية للمدينة في المنطقة العربية قبل الاسلام نظراً لاندثار بعضها أو تطوير البعض الآخر بعد دخول الاسلام إليها ليتماشى مع الغرض الوظيفي الجديد لها، فمن المعروف أن معظم المدن التي أقيمت قبل الاسلام كانت في أودية الأنهار مثل النيل أو دجلة أو الفرات، وكان الطابع الغالب على المستوطنات البشرية الرئيسية قبل الاسلام هو الطابع الروماني الذى يعتمد على التخطيط الشطرنجى المتساوي التقسيمات والذي يعتمد بدوره على تقاطع الشارعين الطولي والعرضي (الكاردو والديكومانوس) مع وجود الأجورا أو "الفورم" كمركز إداري وتجارى وسط المدينة[10]، هذا النوع لا يعطينا بأي حال من الأحوال الصورة الكاملة عن النظام الإسلامي في إحداث المدن كونها أُنشأت أساساً قبل الإسلام.

النوع الثاني : المدن العربية الإسلامية المخططة (**Created**)

وهي المدن التي أقامها الحكام المسلمين في بداية خروجهم من بلاد الحجاز من أجل الفتح، وقد جاءت هذه المدن على عدة أنماط مختلفة منها على سبيل المثال مدن الأمصار أو المدن العسكرية، وهي المدن التي أقامها القادة الفاتحون خلال حركة الفتوحات الإسلامية لتكون مقاراً لهم وقاعدة لانطلاق جيوشهم من أجل مواصلة الفتح، ومن أمثلتها مدينة البصرة وهي أول مدينة بُنيت في الإسلام علة يد القائد عتبة بن غزوان لتكون معسكراً للجند الفاتحين في بلاد العراق، ومدينة الفسطاط التي أنشأها القائد عمرو بن العاص (20–21هـ) بعد فتحه لمصر، هذا الى جانب مدينة الكوفة التي بُنيت في بدايات حركة الفتح أيضاً لتفي بنفس الغرض العسكري للمدينتين السابقتين، هذه المدن كانت متشابهة تقريبا من الناحية التخطيطية والتي رُوعي فيها الجانب الوظيفي، فكانت عبارة عن معسكرات مستطيلة في الغالب ويتوسطها المسجد الجامع ودار الإمارة والسجن ويتفرع من المركز شارعين رئيسيين متقاطعين تتفرع منهما عديد الطرق الفرعية لتسهيل الوصول الى دواخل هذا المخطط، وهذا الشكل التخطيطي كما هو واضح يعتبر تأثراً بتخطيط المدن الرومانية التي تعتمد على تقاطع الشارعين الطولي والعرضي مع وجود الساحة العامة في المركز.[11]

ومن أنماط المدن الإسلامية أيضاً ما يُعرف بالأربطة، وهي عبارة عن مدن أُنشأت على تخوم الدولة الإسلامية لإقامة المرابطين الذين يستعدون لمواصلة الفتح أو حماية الحدود من الأخطار الخارجية، والأمثلة على هذا النوع من المدن كثيرة لعل اشهرها مدينة الرباط في المغرب والتي أُنشأت لهذا الغرض تحديداً.[12]

أما النمط الثالث والأخير فيتمثل في المدن التي أُنشأت لتكون عواصم ومقرات للإدارة، ومن أمثلة هذا النمط مدينة بغداد التي بناها الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور عام 145هـ / 762م، ومدينة سامراء التي بناها الخليفة العباسي المعتصم بالله بين عامي 218–227هـ، ومن الناحية التخطيطية لم تخضع هذه المدن لشكل معين، فكانت بغداد دائرية و سامراء مستطيله، لكن تشابهت مع غيرها من المدن الإسلامية من ناحية التدرج المعماري الذي ينطلق من المركز والذي يوجد به المسجد الجامع أو دار الإمارة ويتجه الى الخارج حيث تتوزع العمائر الأخرى الإدارية منها والسكنية والتجارية.[13]

أنواع المدن الإسلامية من النواحي الإدارية والوظيفية :

للمدن الإسلامية عدة طبقات من الناحية الادارية وفقاً لما كان عليه الحال في العصور الاسلامية المتقدمة، وكانت بالترتيب التنازلي كالآتي: الأمصار– القصبات– المدن أو المدائن – النواحي – القرى، فالأمصار – جمع مصر – بالمفهوم الإداري الإسلامي القديم هي البلاد التي يقيم فيها السلطان أو الخليفة وتجتمع فيها الدواوين وتقلد فيها الأعمال وتضاف إليها مدن الأقاليم أي تتبعها بقية الوحدات الاقليمية الأخرى التي يتألف منها القطر، أما القصبات – جمع قصبة – فقد استعملها المسلمون في الاصطلاح الإداري الإسلامي بمعنى عواصم الاقاليم العمرانية هذا في الوقت الذى كان يطلق فيه اسم القصبة على القسم الرئيسي للمدينة أو وسط القرية، ومن هنا جاءت تسمية المحور الرئيسي للمدينة بالقصبة حيث المركز الإداري والنشاط التجاري والتعليمي والحرفي والديني، وتأتى بعد ذلك المدن أو المدائن وهى في الاصطلاح الإداري الإسلامي تطلق على ما يلى القصبة في الأقاليم، ومقامها مقام الجند عند الملوك أي الضواحي، أما النواحي فهي في الاصطلاح الإسلامي تطلق على الجهة أو المنطقة التابعة لغيرها من الوحدات الاقليمية الأكبر منها، وتأتى بعد ذلك القرى وقد جاء

ذكرها كثيراً في القرآن الكريم بمعنى يختلف من حين لآخر وفقا للمناسبة التي أنزلت فيها الآية الكريمة التي تتضمنها ومنها القرية بمعنى البلدة الكبيرة الأقل من المدينة ومنها ما يراد بها مجازاً الناس الذين يقيمون فيها.

أما المدن العسكرية في الاسلام فتندرج تحت أربعة أسماء هي: الثغور– الأربطة – العواصم– العسكر، فالثغور هي المدن الحصينة التي أنشئت على حدود الدولة الاسلامية ومنها ما هو على السواحل، وكانت تسمى في مصر "المواخير"، أما الرباط فهي في الأصل الاقامة على جهاد العدو بالحرب ومنها رباط الخيل، والرباطات هي المدن التي يرابط فيها المسلمون للجهاد في سبيل الدفاع عن الوطن وحماية الدعوة الاسلامية دون أي مطمع مادى في الأجر أو المرتبات كما هو شأن الجنود المحترفين، ولهذا فإن الأربطة يكون فيها عادة مواطنون يكسبون رزقهم من الأعمال العادية التي يمتهنونها، وإذا دعى داعي الجهاد نفروا للحرب، والرباطات عادة ما تكون على السواحل البحرية، أما العواصم فهي في اللغة تعنى المانع والحامي من عصمة وعاصم، وهى مدينة ذات عدد كبير من السكان ولها محاكم قضائية وحاكم مقيم فيها وهى مركز السلطة، وكانت في البداية لها صفة الدفاع والحماية، أما العسكر فهي من كلمة عسكرة أي الشدة والعسكر هو مجتمع الجيش أو المكان المخصص لإقامة الجيوش.[14]

عوامل نشأة المدن العربية الإسلامية :

هناك عدة عوامل اثرت على نشأة وبالتالي تطور المدن العربية الاسلامية وما قيام تلك المدن وتطورها إلا لتفاعل تلك العوامل مع بعضها، ويمكننا أن نقول انه لا يمكن لمدينة أن تقوم وتستمر الا اذا توفرت بها بعض العوامل التي سنعطي فيما يلي لمحة لبعضٍ منها :

1–العوامل الطبيعية : لقد لعبت العوامل الطبيعية دوراً كبيراً وبارزاً في اقامة المدن العربية الاسلامية وتطورها، حيث كانت الخطوة الأولى لإنشاء أي مدينة تقوم على تحديد خصائص الموضع والمواقع الجغرافية والاستراتيجية والتي تتمثل في طبيعة المكان وتضاريسه وتربته ومناخه ومصادر المياه فيه، بالإضافة الى نوعية الموقع – بري أو بحري – وكذلك وسائل النقل المعتمدة، إذ كلما سهل الوصول

الى اقليم المدينة كلما زادت قيمتها وتفاعلها مع الأقاليم الأخرى، ومما يزيد من أهمية المدينة وقوعها على طرق المواصلات ما يؤدي إلى ازدهارها وينعكس بالتالي على عمارتها ومخططها العام[15]، ولقد أدرك المسلمون منذ البداية أهمية العوامل الطبيعية في اختيارهم للأماكن المهيأة لإقامة المدن عليها، فكانوا إذا أرادوا بناء مدينة ارتادوا الاماكن المختلفة وأجروا التحريات الطوبوغرافية لمعرفة صلاحيتها لإنشاء المدينة، وهذا واضح في انشائهم لمختلف المدن الاسلامية مثل البصرة والكوفة والفسطاط وغيرها، وقد حرص الخلفاء على وجود العوامل الطبيعية الجيدة في أماكن المدن المنشأة، فعندما أراد الحجّاج مثلاً بناء مدينة واسط (80–81هـ) قال لرجل ممن يثق بعقله : " أمضى و أبتغي لي موضعٍ في كرش من الأرض أبني فيه مدينة وليكن على نهر جار " واختير لذلك موقع واسط وهو موقع كثير الخيرات وافر الغلال صحى الهواء وعذب الماء يشقه نهر دجلة .[16]

–2العامل الدفاعي العسكري : ويعتبر من بين أهم الأسباب التي أدت الى نشأة المدن الإسلامية، حيث كان يؤثر في اختيار الموضع الذي تتوفر فيها أعلى نسبة من ميزات الدفاع وذلك لتوفير ميزة الاستيطان الآمن السكان، فالمدن الأولى التي أنشأتها الجيوش الاسلامية مثل الكوفة والبصرة لم تكن مدنا بالمعنى المتكامل ، وانما كانت معسكرات أُسست على حافة المناطق الصحراوية أو شبه الصحراوية لتكون حلقة وصل بين الجزيرة العربية والجبهات الحربية اطلق عليها أسم فسطاط وهي تعني معسكر لإقامة الجيوش .[17]

–3 العوامل البشرية : لقد كان العامل البشري هو السبب الأول لإنشاء المدن العربية الإسلامية ، حيث أن تلك المدن اقيمت اصلا لإيواء المجاهدين وعوائلهم وتوفر لهم السكن الملائم والأنشطة الخدمية التي يمكن أن تقدم لهم خدمات تضمن لهم الاستمرار في الاقامة في تلك المدن.

4– العامل الإداري والسياسي : لقد دفع العامل الإداري الى اقامة مدن معينة مثل مدينة واسط التي أقامها الحجاج 81 هـ/700م لتكون مقراً لإدارة العراق في الوقت الذي كانت تعم مدينتي البصرة والكوفة الفتن والقلاقل، فأنشأ الحجاج واسط لضبط الأمور هناك حيث يتوسط موقع واسط مدينتي البصرة والكوفة، أما الوظيفة السياسية للمدينة العربية الاسلامية فتمثلت في كون العرب أو المجاهدون المسلمون كانوا محاربين يحضر عليهم السكن في المدن التي كانت قائمة في العراق ومصر، لذلك

أمر الخلفاء القادة بأنزال جنودهم في مواضع خارج تلك المدن حتى لا يصبح المجاهدين أقلية فيها، وكذلك فان الخلفاء أرادوا المحافظة علي نقاء الدماء العربية وكذلك صيانة اللغة العربية من المؤشرات الأعجمية، وأيضاً أن يحتفظ العرب بطابعهم العسكري ويكونوا حامية عسكرية مستعد للقتال في كل لحظة .[18]

خصائص المدن العربية الاسلامية :

قبل الدخول في تفاصيل هذا الموضوع الشائك تجدر الإشارة هنا الى ان خصائص المدن العربية الإسلامية المبكرة تنقسم الى قسمين رئيسيين : الأول : هو خصائص الموقع او الموضع الذي يصلح لإنشاء المدينة عليه ، وبمعنى آخر العوامل التي يجب توافرها لإنجاح انشاء المدينة وضمان الديمومة لها - أما القسم الثاني : فهي الخصائص التي يجب أن تحملها بُنية المدينة العربية الإسلامية، فبينما يندرج القسم الأولى تحت اطار مصطلح التخطيط الذي يشمل كل ما يتعلق بالمدينة من الناحية الطبيعية والجغرافية والحضارية والإقليمية، يندرج القسم الثاني تحت اطار مصطلح "الخطة" وهو ذي يشمل التركيب العمراني والسكاني للمدينة العربية الاسلامية، ولابد لنا هنا اذا أردنا تتبع الموضوع البدء بدراسة القسم الأول ومن ثم الانتقال الى القسم الثاني لإلقاء نظرة كاملة على خصائص انشاء المدن العربية.

القسم الأول / خصائص الموقع

عندما بدأ العرب في صدر الإسلام بتأسيس المدن لم تكن لديهم خلفية عن العلوم الخاصة بالجيولوجيا أو التضاريس أو حتى المناخ، فالبشرية لم تكن قد عرفت شيئاً عنها بعد، لكنهم وبطبيعتهم عرفوا أن أي موقع لابد أن يخضع لتلك العلوم ليصلح في رأيهم لإقامة المدن فاستعاضوا عن تلك العلوم المجهولة آنذاك بطرق يمكن اعتبارها اللبنة الأولى لتأسيس تلك العلوم، وهو ما يتمثل فيما قام بها الخلفاء المسلمين منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ومن تلاه من الخلفاء الراشدين وخلفاء الدولة الأموية وخلفاء العباسيين من استطلاعات مباشرة وكثيفة للمكان الذي يريدون اقامة المدن عليه وذلك بإرسال المبعوثين أو القادة او الحكام و أحيانا يقومون بأنفسهم بفحص الموقع وتقدير مدى صلاحية

المكان للسكن وكذلك اختبار الظواهر الطبيعية فيه، وكذلك التحريات الطوبوغرافية المتمثلة في خصوبة التربة ووفرة المياه، كل ذلك يدل على استيعابهم للظواهر الطبيعية والجغرافية التي تؤدي الى نمو المدن وازدهارها وتأثير كل ذلك على التكويني البشري والعمراني للمدينة فيما بعد.

لقد كانت التعريفات التي وردت في مختلف المصادر العربية للمدينة وخصوصا تلك التي ذكرها الجغرافيين والبُلدانيون والرحالة العرب تحمل في طياتها الخصائص الواجب توافرها في الموقع المراد إنشاء المدينة عليه، فعندما يُعرّف بعض الحكماء المدينة على انها ذلك المكان الذي يقوم على ثلاثة اشياء أساسية وهي الماء والكلأ والمحتطب، فأنهم يعنون أن المدينة يجب أن تقوم قريبة من مصادر المياه وكذلك قريبة من المراعي والمحتطب حتى يضمن لها عدم الاندثار لنقص الماء والكلأ والمحتطب، وذلك يدل على دراستهم للطوبوغرافية المُثلى اللازمة لإقامة المدن العربية الإسلامية، وعندما يذكر ابن خلدون في مقدمته انه من الشروط الواجب توافرها في مواقع المدن العربية الاسلامية أن تكون مواقع محصنة طبيعياً لحمايتها من الاعتداء، وان تكون جيدة المناخ وعذبة المياه غزيرة العشب كثيرة الغابات ويستحسن أن تكون قريبة من البحر لإعطائها بُعداً خارج حدودها ولتوفير قنوات اتصال لها بالمدن الأخرى، فإن ذلك يدل على مدى الخصائص الاستراتيجية والمناخية وحتى الاقتصادية الواجب توافرها في مواضع المدن العربية الاسلامية . [19]

ورغم وجود التعاليم والشروط المألوفة المنصوص عليها عند بناء المدن العربية الاسلامية فأن المسلمون لم يتقيدوا دائما بها، إنما انطلقوا من معطيات ذاتية راعوا فيها بالدرجة الأولى متطلباتهم الخاصة في مواضع المدن التي انشأوها، وعلى ذلك انشأوا العديد من المدن التي كان لها بفضل حسن اختيارهم أهمية كبيرة في ازدهار الدولة الاسلامية، والأمثلة على ذلك كثيرة ولكننا هنا سنذكر بعض تلك المدن الاسلامية والخصائص التي بني المسلمون عليها تلك المدن:

من أوائل المدن العربية الإسلامية التي أُنشأت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب مدينة الكوفة التي أنشأها القائد سعد بن أبي وقاص وذلك سنة (17هـ/638م)، حيث اراد سعد بناء مدينة جديدة لسكن المجاهدين وعوائلهم، فوضع شروطا للموقع الذي سيبني فيه مدينته تلك، من توفير الظروف الطبيعية والمناخية والمعيشية مع عدم اغفال الغرض العسكري في بناء هذه المدينة، بذلك وضع عدة تعبيرات

يتطلبها هذا الغرض، كأن تكون على طرف البر او على طرف الصحراء أو قريبة من الريف وهو ما يتضمن المدلول العسكري، وقد أطلع الخليفة عمر بن الخطاب على المواصفات التي وضعها سعد فكتب إليه ناصحا إياه بأن يتخذ موقع مناسبة قائلاً : " لا تجعل بيني وبينكم بحراً " وذلك لتسهيل وصول الامدادات وتأمين طرق المواصلات بين المدينة المنورة مركز الخلافة الاسلامية آنذاك والامصار الاسلامية وهذا ما يؤكد أن المسلمين انطلقوا في انشاء مدنهم على معطيات ذاتية تطلبتها حاجاتهم لبقاء المدن في البلاد المفتوحة.[20]

وفي نفس الفترة تقريبا بنيت مدينة البصرة عام 14هـ/ 63م على يد القائد عتبة بن غزوان الذي أراد اقامة قاعدة للجيوش الإسلامية لمواصلة الحرب ضد الفرس، فكان أول شرط اشترطه في اقامة المدينة هو ان لا يكون هناك مانع طبيعي بين الموضع وبين المدينة المنورة مركز الخلافة الاسلامية، هذا الشرط الذي دائما ما كان يشكل مطلب أساسي للخليفة ابن الخطاب وذلك للأسباب التي ذكرناها سابقا في بناء مدينة الكوفة .

اضافة الى ذلك فأن القائد عتبة بن غزوان كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب شارحاً له مزايا الموقع الذي أراد انشاء المدينة عليه، فهو قريب من مصادر المياه اضافة الى أنه يقع على طرفي البر وكذلك تكثر به الموارد الاقتصادية، فوافق الخليفة عمر على هذا الموقع لأنه يوافق كل الشروط اللازمة انشاء المدن .[21]

والمثال الأخر هنا هو أنه عندما عزم الخليفة العباسي المنصور على بناء مدينة بغداد المدورة لتكون عاصمة جديدة للدولة العباسية عام 145هـ / 762م ، بعث الرُواد ليختاروا له موضع يبني فيه مدينته واشترط عليهم أن يكون الموقع مريحاً للعامة وللجند، فأشاروا له أول الأمر على موقع قرب " بارما " وقالوا له انه موضع طبيب الغذاء، فخرج إليه بنفسه وبات فيه ليلة، ووجده مكاناً طيبا ولكنه رفضه لأنه كان ضيقا لا يسع الجند وعوائلهم، وهذا ما يدل على ادراك وفهم عميق للخصائص المثلى للموقع الذي يريد أن يبني فيه مدينته، وقال : (انما أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم مع موافقته لي، ولا تغلو فيه الأسعار، ولا تشتد فيه المؤونة، فأني إن قمت في موضع لا يجلب اليه من البر والبحر شيئاً غلت فيه الاسعار وقلت فيه المادة واشتدت المؤونة، وشق ذلك على الناس [22] (وقال أيضا : (إني

قد مررت بطريقي الى هنا على موضع تجتمع فيه هذه الخصال، فأنا نازل فيه وبائت به فأن اجتمع لي فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتماله للجند والناس ابتنيته)، فلما اطلع المنصور على الموضع وجد فيه ميزات تلائم بناء مدينته وتضمن لها الاستمرار والنجاح، فبالإضافة الى ما وجد فيها من طيب المبيت وكذلك سعة المكان واحتماله للجنود وعوائلهم، وجد فيه كذلك ميزات أخرى، منها ميزات عسكرية تتمثل في أن الموضع محصن طبيعياً، حيث لا يصل اليها العدو الا عن طريق جسر أو قنطرة لأنه يقع بين نهري دجلة والفرات وكذلك كان الموقع منفتح على البادية ليسهل عمليات الإمداد والتموين، إضافة إلى المميزات الاقتصادية والتجارية حيث أن وجود المدينة بين النهرين يضمن لها خصوبة الأرض وكذلك وصول الجباية اليها عن طريقهما من بلاد الشام والرقة وغيرها، وكذلك بالمدينة مميزات استراتيجية كونها تتوسط الدولة الاسلامية ووسط العراق مما يتيح لها صفة المركزية لإدارة الدولة الإسلامية.

القسم الثاني / خطة المدينة

من خصائص المدينة العربية الاسلامية هي تلك التي يجب توفرها في بُنية المدينة نفسها (خطة المدينة) والتي تشمل كل ما يتعلق بالمدينة من الناحية العمرانية والسكانية والجغرافية والحضارية، وفي الترتيب يأتي هذا القسم بعد القسم الأول وهو اختيار الموضع الذي يحمل كل الصفات اللازمة لإنشاء المدينة وبشكل أدق فأن هذا القسم يشمل المساحة التي تقف عليها المعالم الدقيقة للأرض التي يبدأ فوقها الاستقرار وينتشر عليها ويؤثر فيه ، وهو النظام المادي لطبيعة المدينة والذي تمثله كتلتها المبنية وكذلك ارتباطها بمجتمعها الحضري ومرافقها الخدمية وانسجامها مع الحاجات الاجتماعية والاقتصادية للسكان [23]، فلقد اشارت المصادر العربية – الرحالة والجغرافيين والفقهاء والمؤرخين – الى كثير من الخصائص الواجب توافرها في المدينة الإسلامية، وركز كل منهم على الجانب الذي يهمه وطبعوا تعريف المدينة بطابعهم التخصصي، ويمكننا من خلال تلك التعريفات أن نستشف جل تلك الخصائص لتكون صورة كاملة عن شكل المدينة الاسلامية .

وقبل الدخول في تفاصيل هذه الخصائص يجدر بنا ذكر نص لأبن الربيع جمع فيه كل الشروط الواجب توفرها في خطة المدينة العربية الاسلامية وأوجب على كل حاكم الحرص على توفرها عند

بناءه للمدينة . حيث يقول ابن الربيع : (يُساق اليها الماء العذب ليُشرب حتى يسهل تناوله من غير عسف، وأن تُقدّر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق، وأن يُبني فيها جامعاً للصلاة في وسطها ليتعرف على جميع أهلها، وأن يقدر أسواقها لينال أهلها حوائجهم عن قرب، وأن يميز بين قبائل ساكنيها بأن لا يجمع أضدادا مختلفة متباينة، وإن أراد سكناها فليسكن أفسح طرقها، وأن يجعل خواصه محيطين به من سائر جهاتها، وأن يحوطها بسور خوف اغتيال الاعداء لأنها بجملتها دارٌ واحدة، وأن يُنقل اليها من أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها حتى يكتفوا بهم ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها [24]"

لقد حددت الشروط التي ذكرها ابن الربيع في نصه السابق الهيكل العام والأساسي للمدينة العربية الاسلامية، مع تركيزه على ان السلطة هي المسئولة عن توافر هذه الشروط في بنية المدينة، و أذا توفرت تلك الشروط فأنها تكفل كافة الاحتياجات المدينة اسلامية مستقرة لأنها تشمل كل الجوانب العمرانية والاقتصادية والاجتماعية في الحياة العامة . وعلى كل حال فأننا يمكن أن نحصر خصائص بُنية المدينة العربية الاسلامية كما وردت في المصادر العربية عن طريق الجغرافيين والبلدانيين والفقهاء وكذلك علماء الاجتماع في النقاط التالية :

أ–المساحة والسكان : ربما تمايزت آراء المصادر العربية بالنسبة لجل الخصائص الاساسية لبُنية المدينة العربية الاسلامية الا فيما يخص مسألة المساحة، فهناك شبه إجماع على أن من أهم خصائص المدينة العربية الاسلامية أن تكون كبيرة المساحة وان تكون بها كثافة سكانية عالية تُحدث الفرق الأساسي بينها وبين القرية او البلدة، وربما كانت هذه الخاصية هي الأهم لأنها هي المجال الحيوي الذي يشمل جل الخصائص الأخرى الآتي ذكرها فيما بعد، أما بالنسبة للسكان فأن تجمعهم في المدينة يكون اكبر كثافة من القرى، وقد صاحبت هذه الخاصية دائماً خاصية كبر المساحة، فجُل المصادر كانت تشير الى ان المدينة هي مركز مأهول بالسكان، وكل الآيات القرآنية التي وردت فيها لفظة مدينة كانت تشير إلى أنها مكان لتجمع السكان أو كمركز تجاري ثابت يتم فيه تبادل المنافع وهو ما يشير الي نفس الخاصية، وبدون الدخول في تفاصيل فإن ذلك الرأي كان رأي كل المصادر

العربية الأخرى من جغرافيين وفقهاء ورحالة وغيرهم، وإن دل ذلك عن شيء فإنما يدل على أن السكان هم المستهدفون اصلا من انشاء المدن ومرافقها كما كانت المساحة هي مجالها الحيوي.

ب- المظهر التخطيطي : يرتبط المظهر التخطيطي للمدينة العربية بالتكوينات المعمارية للمباني وما تكونه من فراغات وما يظهر فيها من العناصر المعمارية مثل المآذن والقباب والمساكن أو الطرق المغطاة أو غيرها من العناصر التي فرضتها الخصائص الطبيعية والمناخية للمكان أو الخصائص الاقتصادية والاجتماعية للسكان، والمظهر التخطيطي للمدينة يظهر للمُخطِط من زاويتين مختلفتين تماما، الأولى نظرته العامة الى المدينة من أعلى، والاخرى نظرته المحلية إلى المدينة من الداخل وهي النظرة التي ترتبط بمقياس الانسان واحساسه بالحجوم والفراغات التي تكوّن المظهر أو الشكل الداخلي المدينة التي يعيش فيها، ودائما ما يبدأ المخطط بالنظرة الأولى وهي النظرة العامة للمدينة وينتهي منها إلى النظرة الثانية الداخل المدينة وهو في هذه الحالة قد يفقد كثيراً من احساسه بمقياس الانسان فيها، فالمدينة القديمة في الأصل قد نشأت للنظرة المحلية للمعماري أو المخطط لداخل المدينة وليس على أساس نظرته العامة اليها كما هو الحال في الوقت الحاضر، اللهمَّ إلا إذا ارتبطت المدينة بشخص واحد يرسم حدودها أو يحدد الشارعين الرئيسيين فيها، وتماشياً مع طبيعة العمل التخطيطي فان المظهر التخطيطي للمدينة الاسلامية القديمة يمكن أن ينظر اليه من خلال النظرتين الخارجية والداخلية معاً، فالمظهر التخطيطي لداخل المدينة يتأثر بالظروف المناخية والاجتماعية وعوامل الأمن والدفاع ثم بمدى ارتباط السكان بمدنهم، ومن هذه العوامل ما يوضح الاسباب التي جعلت عرض الشارع يقل كثيراً عن ارتفاع المباني على جانبية لتوفير اكثر كميه من الظلال للمارة فيه، وقد يتطور الأمر إلى تسقيف هذه الشوارع كما رأينا في الشوارع التجارية في بعض المدن الإسلامية القديمة كالقدس ودمشق وحلب واصفهان، ومن ناحية اخرى نجد أن ضيق عروض الشوارع يساعد كثيرا على خلق الروابط الاجتماعية بين سكان الاحياء التي تمر فيها كما أنها تعمل على تنشيط الحركة التجارية في الاسواق الممتدة وهذه ظاهرة عامة في مدن العالم .

ومن ناحية أخرى فإن استمرار المباني على جوانب الشوارع يعكس متطلباً من متطلبات الأمن في الاحياء القديمة للمدينة وذلك بالإضافة الى البوابات التي كانت تُغلق ليلاً كما كانت عليه الحال في

العصر العثماني، أما ارتباط السكان بالحي فيظهر في تجمعاتهم عند المساجد ولقاءاتهم اثناء حركتهم بين الأنشطة المختلفة على طول الشارع الرئيسي للحي، والذي يتغير عرضه من مكان لآخر الأمر الذي يعطي لفراغ الشارع مقياسا مناسبا يرتبط حركة الانسان، والشارع بهذه الصورة يعتبر مظهرا هاما من المظاهر التخطيطية التي يمكن تطبيقها عند تخطيط الأحياء السكنية في المدينة الاسلامية المعاصرة باعتباره مخصصا للمشاة ومنفصلاً انفصالاً تامّاً عن حركة السيارة داخل هذه الأحياء. (25)

ج- المسجد الجامع : لقد شجع الاسلام على صلاة الجماعة في الجامع، وفضّلها على الصلاة الفردية بدرجات عظيمة، وجعل صلاة الجمعة فرض على كل مسلم، لذلك فقد كان المسجد الجامع هو محور الحياة الدينية في المدينة وكذلك الحياة الدنيوية بجوانبها السياسية والثقافية والتعليمية والاجتماعية، فالمسجد في المدينة الاسلامية هو مركز لتوطيد التعاليم الإسلامية، وفيه يتفقه الناس بأمور دينهم ودنياهم، وفيه تعقد المعاهدات ويعلن الجهاد ويتم تحشيد الجيوش، لذلك كان المسجد من الخصائص التي لا غني عنها في المدينة الإسلامية، وكان لابد من وجوده في وسط المدينة وفي مركزها حتى يصل الناس اليه بيسر وسهولة من كافة انحاء المدينة وأقاليمها، وكان يجب ان يكون من السعة بحيث يستوعب كل المصلين من أبناء المدينة، (26)ومن هنا تعرف العلاقة بين المدينة العربية الإسلامية وبهاء مجدها الجامع الدال على حدودها وكذلك كما قال ابن الربيع : أن يُبنى فيها جامعاً في وسطها ليتعرف على أهلها " .

ولهذه الأهمية فقد كان المسجد الجامع يعد أساس التخطيط للمدينة الإسلامية، فأحتل غالباً موضع المركز الرئيسي فيها، وبعده يتم اختطاط باقي المنشآت من دار أمارة أو الشوارع أو الأسواق أو الأحياء السكنية، فمنذ بداية تمصير الأمصار في عهد الخليفة عمر بن الخطاب أمر ولاته علي البصرة والكوفة والفسطاط ببناء الجامع في تلك المدن . (27)

وكان المسجد الجامع كثيراً ما يتميز بساحته الكبيرة عن غيره من المساجد المحلية التي كانت ملتحمة التحاما عضويا بمباني الأحياء، كما أن تأثيره الشكلي يختلف كثيراً عن سواه سواء بالنسبة لواجهاته أو قبابه أو مآذنه، فلم يكن هناك تشابه في التأثير العام للمساجد الجامعة والمساجد المحلية وهذه ظاهرة أخرى لارتباط بناء الجوامع بالحكام من ناحية والمساجد المحلية بالسكان في هذه الأحياء

من ناحية اخرى، الأمر الذي أظهرها في صورة أكثر تواضعاً واقوى التحاماً بالناس، فالمآذن والقباب وارتفاعها في سماء المدينة الإسلامية يمكن التعبير بها عن وضع المساجد المختلفة في التكوين العام للمدينة.[28]

د- الساحات العامّة : ترتبط المساجد وخاصة المساجد الجامعة منها بالساحات العامة التي تطورت بدورها مع تطور المكانة التخطيطية لهذه المساجد في المدينة الإسلامية، وكانت الوظيفة الأساسية للساحات العامة بالمدن على مر العصور هي ممارسة الأنشطة الجماعية للجماهير سواء منها الدينية أو الاجتماعية أو التجارية أو السياسية وإن كانت بعض هذه الأنشطة تغلب على وظيفة الساحة في مدن العصور التاريخية المختلفة، فكان النشاط التجاري يغلب على الأجوار الإغريقية، كما كان النشاط السياسي يغلب على الفورم الروماني أما الميدان في مدن العصور الوسطى بأوروبا فكان يضم معظم هذه الأنشطة . أما في المدينة الاسلامية القديمة فكادت تتلاشى وظيفة الساحة في صدر الاسلام وذلك لقيام الفناء المكشوف داخل المسجد الجامع بهذه الوظيفة، ومن هنا لم تظهر الساحة العامة بوسط المدينة كعنصر بارز في تخطيطها .

ومع تطور المكانة التخطيطية للمساجد وظهور الشخصية الفردية للحكام واهتمامهم بقصورهم ودواوينهم بجانب اهتمامهم بالمساجد برزت أهمية الساحة وأخذت وظيفة الفناء الداخلي للمسجد الجامع، فعندما بدأ أحمد بن طولون في بناء القطائع في عام 870 م – بدأ بتشييد قصره كنواة للمدينة ثم حول السهل الواقع بين قصره وجبل (يشكر) الى ميدان كبير لألعاب الفروسية وعرض الجيوش بعيدا عن مسجدة الكبير، كما تكررت نفس الصورة في قاهرة المعز عندما كانت الساحة العامة للمدينة تقع بين القصر الشرق الذي بناه جوهر الصقلي للمعز والقصر الغربي الصغير الذي أقامه العزيز بالله ابن المعز وسميت هذه الساحة (ما بين القصرين) بعيدة عن الجامع الأزهر، وقد خصصت لعرض الجيوش وبعض الاحتفالات بالمناسبات الوطنية، ومع ذلك فقد كانت كثيراً من الاحتفالات الدينية سواء في الأعياد أو في المواسم والمناسبات التي ابتدعها الفاطميون تقام في أماكن متفرقة من المدينة حيث كانت تمر مواكب الخلفاء بالشوارع الرئيسية، وفي عصر المماليك تلاشت وظيفة الساحة من المدينة وذلك لانفصال الحكام عن الشعب مع زيادة ميلهم إلى الترف إلى أن أقاموا لأنفسهم

ميادين خاصة لممارسة رياضتهم المفضلة خارج المدينة، وأصبحت الاحتفالات العامة تبدأ عند نقط التقاء الناس عند الجوامع أو القلاع لتنتهي عند نقط أخرى في المدينة، حيث كانت فئات الشعب تسير حاملة اعلامها ضاربة مزاميرها . وفي مكان آخر مثل اصفهان نجد أن الساحة الكبرى التي تحدها المساجد والمباني الرسمية تستعمل لممارسة رياضة الخيول قبل أن تتحول إلى منتزه يتوسط المدينة، ومع وجود الساحات العامة في المدن الاسلامية القديمة وجدت بعض الساحات الصغيرة التي كانت تمثل كل منها متسعاً غير منتظم أمام المساجد المحلية تقام فيها الأسواق اليومية أو الموسمية معبرة بذلك عن ظاهرة من مظاهر الارتباط العاطفي بين السكان وأحيائهم الوطنية مع اعتبار المساجد مركزا لهذا الارتباط.[29]

هـ- دار الأمارة : عندما نتحدث عن دار الأمارة هنا فإننا لا نقصد مجرد قصر يسكن فيه الحاكم أو الخليفة، ولكننا نقصد انه مكان للحكم يتم فيه تصريف أمور الدولة ويجمع بين جدرانه الدواوين والدوائر التي تسير أمور الناس، لذا فهو أيضا من الخصائص التي لا غنى المدينة العربية الاسلامية، هذه الخاصية الأساسية – وهي وجود دار الامارة – يمكن أن تجمع تحتها عدة خصائص فرعية ربما لا تتأتي للمدينة العربية الاسلامية الا بوجود هذه المؤسسة، منها على سبيل المثال إقامة ووجود الحاكم أو كما أسمته بعض المصادر العربية السلطان الأعظم الذي يقيم الحدود وكذلك فإن دار الأمارة كانت تجمع الدواوين وكذلك تُقلد منها الأعمال.

وفي المدن العربية الإسلامية غالبا ما كانت دار الامارة تُقام ملاصقة للمسجد لأسباب دينية تتمثل في دخول الخليفة منها للمسجد لإمامة المصلين، وكذلك لأسباب أمنية تكمن في حماية المسجد لدار الأمارة حيث كانت تحفظ اموال الدولة الإسلامية من السرقة اعتمادا على تغليب الوازع الديني .[30]

و- الاسواق : تعتبر الأسواق من المرافق الأساسية العامة في المدينة، وقد كان الرسول (ص) حريصاً منذ البداية على انشاء السوق في المدينة المنورة، لان الاسواق كانت تشكل المركز التجاري الرئيسي الذي يلتقي فيه التجار والحرفيون، وكذلك يحصل منه السكان على كل ما يحتاجونه في حياتهم العامة، وقد كان موضعه في المدينة يُعين بعد المسجد الجامع ودار الإمارة، وقد كان

المؤرخون والرحالة وغيرهم يصنفون المدن الإسلامية حسب ضخامة أسواقها، وكانت الأسواق عادة ما تُقام في وسط المدينة حول المسجد ودار الامارة .[31]

وقد أعطى الحكام والولاة أهمية كبيرة للأسواق فحرصوا على انشائها قرب المسجد ودار الأمارة وذلك لأنها تمثل المجال الحيوي الاقتصادي للسكان المدينة، وعند الاطلاع على تاريخ انشاء المدن العربية الاسلامية نلاحظ أن حكامها قد أولوا الأسواق أهمية كبرى، فعند بناء الكوفة 17 هـ جُعلت أسواقها في ساحة واسعة من وسط المدينة قرب المسجد ودار الامارة، وكذلك الأمر عندما بنى الحجّاج مدينة واسط 18 هـ حيث أولى الأسواق عناية خاصة، فجعل السوق في وسط المدينة، وظهرت منذ تلك الفترة ما يعرف بالأسواق الفرعية التي تنتشر في أرجاء المدينة لتسهل للسكان ربما الوصول اليها بسهولة ويسر، كذلك في مدينه المنصور المدورة التي وُضع فيها السوق في مكانه الخاص.[32]

ز- المناطق السكنية : من خصائص المدينة العربية الإسلامية التي ركز عليها المؤرخون العرب هو تقسيم السكان بشكل جيد على الأحياء السكنية وذلك لتحقيق الانسجام والتكاتف بينهم ومنعاً للتنافر والمصادمات بينهم، لذلك حرص الولاة والحكام على توزيع السكان في مدنهم على أساس قبلي، والتاريخ العربي الاسلامي حافل بالمشاكل التي كان سببها سوء التوزيع للسكان، ومن أمثلتها ما حدث في بغداد في عهد الخليفة المعتصم بسبب الاختلاط العشوائي بين السكان العرب والفرس مما أذكى نار الطائفية العرقية بين الجنسين وبذلك اشتعلت نار القلاقل والمنازعات، مما أضطر الخليفة المعتصم الى بناء مدينة سامراء[33]،كما أن من مميزات التوزيع الجيد للسكان في المدينة ايضا – بالإضافة الى التكيف الاجتماعي – تسهيل مهمه اداره المدينة سياسياً بالنسبة الحكام.

ح- التحصين : لقد أنشأت المدن الإسلامية الأولى كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان لكي تكون معسكرات يقيم بها المجاهدون وأسرهم، وآنذاك لم يرَ المسلمون حاجة الى تحصينها، الا انه بعد ذلك وعندما أخذت المدن دورها واشتملت على المنشآت الحيوية الاقتصادية والدينية والسياسية والاجتماعية بدأ المسلمون يفكرون في تحصينها خصوصا بعد توغل الفتوحات الاسلامية في الدول المجاورة لحمايتها من الغارات المفاجئة التي يقوم بها اعدائهم .

ودلت الأسوار والتحصينات منذ ذلك الوقت على مكانه المدينة وقوتها بين المدن الأخرى، لذا كانت الأسوار والتحصينات من الخصائص المهمة التي حرص الخلفاء والحكام على أنشاءها لحماية مدنهم.

ويعتبر السور المحصن للمدينة من اهم اجزاءها لكونه يعزز مكانتها الأمنية والعسكرية والاجتماعية، إذ يمنحها الهيبة والسلطان بين المدن الأخرى وفي بعض الأحيان يقيها أخطار الفيضانات والسيول، كذلك كان له دور كبير في رسم حدود المدينة، مما يؤثر على شكل العمارة السكنية حيث تعمل زيادة كثافة السكان داخل المدينة على ازدحام العمارة مما يؤدي الى قلة الفراغات، عندها يصبح توسع العمارة عمودي، أيضا فإن السور يؤثر في رسم نسيج المدينة وشكلها العام، فشكل السور هو الذي يعطي اهميةً للمنشآت العمرانية المقامة داخله، فالشكل الدائري مثلاً يخلق نقطة مركزية في مركز المدينة وتكون أهم نقطة فيها تُقام بها أكثر المنشآت أهميةً كالمسجد الجامع ودار الأمارة تتدرج منها الاهمية كلما اتجهنا منها الى السور الخارجي للمدينة، لذا كان الأسوار أهم أجزاء المدينة فاهتم الخلفاء بأنشائها حتى انه في بعض المدن الإسلامية بُني اكثر من سور المدينة للزيادة في تحصينها، فكان لمدينة بغداد مثلا ثلاثة أسوار، ولمدينة واسط سوريين وكذلك المدينة الحضر سورين، وقد قرن بعض المؤرخين العرب المدينة بأنشاء السور، فأبن منظور مثلاً يذكر : " الحصن يبني في أصطمة من الأرض، وكل ارض يُبنى عليها حصن فهي مدينة[34] ، والحصن هنا يقصد به المدينة المحاطة بسور يمنعها من أعدائها.

ط- خصائص أخرى لبُنية المدينة الإسلامية :اضافة الى الخصائص سابقة الذكر فقد شددت المصادر العربية والجغرافيون بشكل خاص على عدة خصائص اخري ربما تكون أقل أهمية من السابقة ولكن يمكن أن تعتبرها من الخصائص المهمة وذلك لدورها في انعاش الحياة في المدينة العربية الاسلامية وتوفير الاستقرار والازدهار فيها، فعندما تطورت المدن وأصبحت في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية معاهد متطورة للعلوم والفنون انتشرت على سبيل المثال المدارس الدينية، فابن الجبير يذكر أنه في مدينة بغداد وحدها كانت توجد عشرات المدارس على غرار المدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية، كما ظهرت أيضا البيمارستانات او المستشفيات المتكاملة التي احتوت على مراكز الإيواء والعلاج ومراكز التغذية والصيدليات، الى جانب الحمّامات العامة التي كان لها عدة

أدوار اجتماعية في المدينة العربية، فهي بالإضافة لكونها مكانا للنظافة التي حرص عليها الإسلام فهي مكان للتسلية بين السكان وتتجاذب أطراف الحديث والخروج عن روتينية الحياة المملة أحيانا.

متطلبات إنشاء المدن العربية الاسلامية :

عندما نتمعن في الخلفيات التاريخية للعوامل والأسباب التي دفعت العرب المسلمين إلى انشاء مدنهم وحواضرهم بأنواعها المختلفة فإننا وبدون شك سنخرج بنتيجة مهمة مفادها أن هؤلاء العرب المسلمين كانوا يضعون عدة مستلزمات وشروط ومتطلبات في اختيارهم لمواضع انشاء مدنهم تلك بكل دقة، وكانوا يفاضلون بين موضع وآخر لإنشاء المدينة لاختيار الموضع الذي يحمل الصفات التي يتطلبها الغرض الكامن وراء فكرة انشاء المدينة، من هنا نرى أن مسألة تأسيس المدن الإسلامية واختيار مواضعها لم تكن من المسائل العشوائية كما أورد بعض الباحثين الأجانب وغرضهم من ذلك تقزيم النبوغ العربي في هذا المجال، وإخفاء الحقيقة التي تشع كالشمس وهي أن العرب كانوا يسبقون الغرب في مختلف المجالات ومن بينها تصدر المدنية العربية ذلك الوقت ، ولكن مسألة تأسيس المدينة الاسلامية كانت تخضع الشروط دقيقة تجعلها ربما– في مصاف القرارات الصعبة او المهمة التي يتخذها القائد او الخليفة، وقد كانت تلك المستلزمات تتفاوت في الأهمية وذلك تبعا للوظيفة التي ارادها العرب المسلمين من انشاء المدينة، تلك المتطلبات التي تباينت بين عسكرية أو اقتصادية أو سياسية أو غيرها من المتطلبات :

أولا– المتطلبات العسكرية

بعد أن أنجز المجاهدون المسلمون تحرير الأراضي العربية المغتصبة وأجلوا عنها القوى الباغية من فرس وروما قرروا عدم السكن في المدن المأهولة التي ربما لا تتناسب مع طبيعة الجيوش المقاتلة، لذلك اقترح قادة الجيوش على الخليفة عمر بن الخطاب الذي بدأت في عهده حركة التمصير – كما ذكرنا سابقا – إنشاء معسكرات أو مقرات أو مدن جديدة لجيوشهم لتكون مكاناً للراحة بعد عناء الحرب ولتكون مكاناً لإقامة المجاهدين وأسرهم، ومركزاً لإمداد الجيوش العربية المقاتلة .[35]

ومن جهة أخرى فلقد كان لتوغل المسلمين في البلدان المفتوحة وبالتالي ابتعادهم عن مركز الخلافة الاسلامية أكبر الاثر في تفكيرهم بإنشاء مدن تكون قاعدة انطلاق جديدة لهم لمواصلة فتوحاتهم الإسلامية المظفرة .

لقد كانت جل المدن الاسلامية المبكرة كالكوفة والبصرة والفسطاط مبنية وفق هذا المتطلب لأن المسلمون لايزالون آنذاك مقاتلين تحت السلاح بطبيعتهم، لذلك كان الغرض العسكري آنذاك هو الغرض الأبرز الذي دفع العرب الى اقامة المدن وفق الاسباب التي ذكرناها، فمدينة البصرة مثلا بُنيت وفق هذا المتطلب، حيث راودت القائد عتبة بن غزوان أحد قادة الجيش الإسلامي في العراق فكرة انشاء مقر دائم لجيشه بعد تحرير أغلب اراضي العراق، فكتب الى الخليفة عمر بن الخطاب وقال له : (انه لابد للمسلمين من منزل يشتون به إذا شتوا او يسكنون فيه إذا انصرفوا من غزوهم) فرد عليه الخليفة عمر بالموافقة مع مراعاة الشروط الملائمة في الموضع والتي ذكرناها سابقا [36]،وكذلك هو الحال بالنسبة لمدينة الكوفة، حيث أنه وبعد أن هزم القائد سعد بن ابي وقاصي جيوش الفرس ودخوله لمدينة طيسفون كتب للخليفة عمر بن الخطاب يُعلمه بأن الجيوش الاسلامية بحاجة الى مركز يقيم به المجاهدون وعوائلهم وكذلك ينطلقون منه لأداء مهامهم ويرجعون اليه بعد ذلك، فوافق الخليفة عمر علي ذلك مع مراعاة الشروط التي أوصى بها عتبة بن غزوان من قبله، وتم انشاء مدينة الكوفة وفق هذا المتطلب العسكري 17 هـ / 138 م .

ومن الأمثلة الأخرى المهمة لبناء المنن العربية الاسلامية وفق المتطلب العسكري مدينة القيروان في المغرب العربي وبالتحديد في تونس، فالجيوش العربية انطلقت منذ بدايتها من مركز الخلافة الإسلامية باتجاه الغرب حتى بلغت مصر وشمال أفريقيا، وعندما وصلت الى تونس بقيادة عقبة بن نافع كانت قد ابتعدت كثيراً عن مركز الخلافة وصعب الأمر بالنسبة لطرق الإمدادات والمراسلات أو حتى لمراكز تنظيم يتم فيها تنظيم الجيوش الاسلامية، لذا احتاج المسلمون في ذلك الوقت الي مركز ثابت ينظمون فيه صفوفهم استعداداً للانطلاق لمواصلة الفتوحات الاسلامية في المغرب والاندلس فيما بعد، لذلك قام عقبة بن نافع باختيار موضع لمدينته تلك لأن الأمر كان متروك له في اختيار الموضع ، فاختار موضعاً تميز بعدة ميزات منها انه لا يفصله فيه عن مركز القيادة العسكرية في الفسطاط أي عائق

طبيعي صعب الاجتياز كالبحر او النهر، بالإضافة الى موافقة الموضع لذهنية العرب ومتطلباتهم، كما أن الموقع يتميز ببعض الموارد الذاتية والمنتجات التي توفر لهم الاكتفاء، وبذلك أُنشأت مدينة القيروان بين عامي 50-55هـ / 670-674م، وفق متطلب عسكري اساسي لكنه تداخل مع عدة متطلبات اخرى ادت الى استمرارية المدينة وتطورها . [37]

- المتطلبات الاقتصادية:

إن المدن العربية الاسلامية المبنية وفق المتطلبات الاقتصادية تتطلب أن تكون منشأة على الطرق التجارية سواء كانت برية أو بحرية أو نهرية، أو ان تكون قريبة من مصدر الثروات الغذائية والحيوانية والزراعية والصناعية، ويمكن احيانا أن تُنشأ مدن ليس لها من عوامل التمدن شيء إلا أنها بُنيت على متطلب اقتصادي بحت، فمدينة عدن مثلاً لا تتوفر فيها أي خصائص مدينة لأن مناخها رديء ولا توجد بها مصادر لمياه الشرب العذبة كما انها ليست قريبة من مصادر الثروات الطبيعية، الا ان ميزتها الوحيدة انها محطة بحرية ترفأ اليها السفن السائرة في المحيط الهندي والمتجهة نحو البحر الأحمر، لكنها رغم ذلك نجحت في أن تكون مدينة مزدهرة على اساس اقتصادي بحت .[38]

ومن جانب آخر وجدت مدن ازدهرت على اساس متطلب اقتصادي مع وجود عوامل ومتطلبات اخرى برز فيها متطلب معين اكثر من غيره ولكنه لم ينفي وجود باقي المتطلبات، ورغم أن مدن الفترة الاسلامية المبكرة بُنيت على اساس متطلب عسكري فأن توجيهات الخلفاء الى القادة كانت تؤكد دائما على اختيار الموقع المناسب لبناء المدن والذي تتوفر فيه المتطلبات الاقتصادية التي تشمل وجود المياه العذبة والأراضي الصالحة للزراعة وتوفر المصادر الطبيعية للغذاء وكذلك المراعي، ونُشير في هذا الخصوص ان المدينة لا يمكن ان تعيش لذاتها وانما لخدمة المناطق المحيطة بها وهذا ما يعرف (بإقليم السوق) حيث تنشأ علاقة متبادلة بين المدن عن مدى ما توفره المدينة من خدمات لإقليمها، وتسوق انتاجها إلى المدن المحيطة بها وهذا ما نسميه (الفعاليات الاساسية)، وذلك لكونها تجلب دخلا للمدينة يساعدها على التطور والنمو الاقتصادي، أما إذا كانت تلك النشاطات الاقتصادية تقدم لسكان المدينة نفسها بحيث تخدمهم وتوفر لهم ما يحتاجونه من بضائع (اكتفاء ذاتي) فهذا ما نسميه (فعاليات غير أساسية) كونها لا تجلب مورد للمدينة من خارجها، ويمكننا أن نقسم المدن العربية

الاسلامية التي بنيت على أساس المتطلبات الاقتصادية حسب ممارستها لدورها الاقتصادي الى اربعة اقسام :

1- مدن توفرت فيها متطلبات جغرافية واستراتيجية ملائمة لممارسة اغراض جديدة اقتصادية أو تجارية .
2- مدن توفرت فيها متطلبات اقتصادية ذاتية كأن تكون مدن تجارية تركزت وظيفتها الاقتصادية في كونها مدينة سوق.
3- مدن توفرت فيها متطلبات اقتصادية وذلك نظراً لوظيفتها كأن تكون مرفأ او ميناء.
4- مدن تجارية توفرت بها متطلبات اقتصادية متنوعة نتيجة التبادل التجاري مع المدن المجاورة.[39]

- المتطلبات السياسية :

لقد بُنيت بعض المدن العربية الاسلامية وفق متطلب سياسي، وهذا المتطلب يرجع إلى الخلفاء انفسهم وإلى الغرض الأساسي الذي جعلهم يفكرون في انشاء تلك المدن، لذلك يصح أن نسمي مثل هذا النوع من المدن (مدن الأمراء أو مدن الخلفاء) وهي غالباً ما تفقد أهميتها وتدب فيها مظاهر التدهور والانحلال عندما يتغير الأمير او الحاكم الذي انشأها، ومن أمثلة هذه المدن مدينة واسط التي أنشأها الحجاج بن يوسف 80 - 81 هـ، وذلك لسبب سياسي يتمثل في أنها كانت تتوسط مدينتي البصرة والكوفة اللتان كانتا دائمتا الفتن والقلاقل آنذاك وكانتا بعيدتان عن مركز الخلافة في الشام ومركز الأمارة في بغداد، وكان من الصعب الوصول اليهما خصوصا انه وكلما أفلح الحجاج في اخماد الفتن فيهما وعاد الى مركز الأمارة حتى عادت الفتن والقلاقل من جديد، لذا رأى أن يبتنى مدينة واسط لتكون مركزاً لجيوشه الشامية وكذلك ليكون قريباً من مصدر الفتن ويمنع ظهورها .

وهناك مثال آخر مهم وهو انشاء الخليفة العباسي المعتصم بالله لمدينة سامراء، حيث أن عدم التمييز في سكن الأجناس المختلفة في مدينة بغداد من عرب وترك وفرس أدى ذلك إلى ظهور صراعات وفتن بين سكان المدينة الواحدة خصوصاً أن الاتراك وجدوا الحظوة عند الخليفة لكونهم كانوا يشكلون الجيش في ذلك الوقت، فقرر الخليفة ولتفادي تلك الصراعات بناء مدينة سامراء لتكون مركز

جديد الخلافة ولتكون مكان إقامة لجنده الاتراك لتجنب الصراعات والثورات الأهلية، وفعلاً بنى تلك المدينة عام 221 هـ [40]، وقد انطبقت على هذين المثالين القاعدة القائلة أن هذه المدن تفقد أهميتها بتغير الحاكم او الامير الذي بناها، فمدينة واسط اصبحت بعد موت الحج اقل أهمية من ناحية وضعها الاداري و التجاري، وكذلك بالنسبة لمدينة سامراء الت فقدت أهميتها بعد موت المعتصم بالله بل أنها تدمرت ليعود مركز الخلافة العباسية بعد ذلك الى بغداد.

د- المتطلبات السياحية :

وهناك نمط آخر من المدن بني على اساس متطلبات سياحية، فإذا جاز لنا تسمية الحصون والمباني المحصنة مدناً فأننا نلاحظ وجود عدد كبير منها حرص الخلفاء والحكام على بنائها لغرض النقاهة والراحة والاستجمام، وكانت غالباً بعيدة عن المناطق المأهولة وفي الصحراء، وكان الخلفاء والحكام يقصدونها بشكل فصلي يرتاحون فيها من عناء شؤون الحكم والدولة، والأمثلة على ذلك كثيرة منها قصر الاخيضر الذي بُني في البادية العراقية خلال العصر العباسي، و وقبله قصير عمرة الذي بُني في البادية الأردنية خلال العصر الأموي.

الخاتمة

اهتمت المصادر العربية بموضوع المدينة والتمدن العربي في الفترة الإسلامية، كانوا قد سبقوا عصرهم في هذا المجال ووضعوا تصوراً للمدينة شكّل النواة الأولى للعلوم التي تدرس انشاء المدن قبل ان تعرف البشرية تلك العلوم من الناحية الطبيعية والطوبوغرافية والتنظيم العمراني والسكاني وساعدهم في ذلك اسباب تلقائية جعلتهم يبدعون في هذا المجال، رغم أن الباحثين الأجانب والمستشرقين حاولوا بكل جهودهم تقزيم الدور العربي الإسلامي في هذا المجال وغرضهم في تلك واضح للعيان ويتمثل في طمس الدور العربي الطليعي في قيادة الحضارة العالمية في فترة من الفترات .

لقد كان الازدهار الذي شهدته الفترة الإسلامية المبكرة في مجال التمدن نتيجة تظافر عدة عوامل مهمة ساهمت في ابداع المسلمون ببناء المدن وديمومتها ومقاومتها لعوامل الطبيعة والزمن، ربما يأتي على رأسها اهتمام السلطات السياسية للدولة الإسلامية واشرافها مباشرة على إنشاء المدن من خلال التشجيع وإسداء الآراء الصائبة التي من شأنها ضمن الكمال والظروف الملائمة لإنشاء مدينة عربية

اسلامية منسجمة طبيعيا وعمرانية وسكانياً وذلك نتيجة لانتقاء خصائص تجعل تلك المدينة نموذجا يمكن أن تسير على نهجها كل مدينة تهدف إلى الديمومة والاستقرار والازدهار.

نقد راعي العرب المسلمون في إنشاء المدن الاسلامية وخصوصا المبكرة منها كالبصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وغيرها وجود عدة عوامل تجعل تلك المدن متاحة لسكن الناس من كل النواحي، وذلك من حيث توفر المياه والأراضي الخصبة ومكان الاحتطاب وكذلك المناخ الملائم، وحرصوا علي وجود تلك الخصائص في الموضع الذي يريدون انشاء المدن عليه، وبعد اختيار ذلك الموقع حرصوا على وجود عدة خصائص أخرى في بنية المدينة توفر لها الاستقرار والخدمات الحياتية لسكانها دينياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

أما المتطلبات التي دفعتهم لبناء تلك المدن فهي متباينة جُعلت لتؤدي الغرض المطلوب منها، ومن تلك المتطلبات المتطلب العسكري والسياسي والاقتصادي والسياحي.

[1]هوامش البحث مراجعه:

(1) مصطفى جواد – أحمد سوسة، مدينة المنصور وجامعها، مجلة سومر، ج 1–2، م22، بغداد، 1966، ص 1–2 .

(2) محمد عبدالستار عثمان، المدينة الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص17 .

(3)عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية، القاهرة، 1991، ص 362 .

(4) بطرس البستاني، قاموس محيط المحيط، دار الأفق، بيروت، 1983، ص 843 .

(5) عبدالجبار ناجي، دراسات في المدن العربية الإسلامية، بغداد، 1986، ص 56 .

(6) أبن منظور، لسان العرب، ج 17، بيروت، 1970، ص288–289 .

(7) عبدالرحمن ابن خلدون، المقدمة، دار القلم، ط6، بيروت، ص 252 .

(8) شمس الدين محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص 79–80 .

(9) عمر وصفي مرتيني، تخطيط المدن، جامعة حلب، حلب، 1981، ص9 .

(10) ابراهيم عبد الباقي، تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة، مركز الدراسات المعمارية، الرياض، 1982، ص28 .

1

(11) عادل عبدالله الخطاب، أصالة المعالجات المعمارية التخطيطية عند العرب، منشورات جامعة بغداد، العراق، ص196.

(12) جميل عبدالقادر أكبر، عمارة الأرض في الإسلام، ط2، دار البشير، بيروت، 1995، ص176.

(13) عبدالباقي ابراهيم، مرجع سابق، ص40

(14) نفس مرجع سابق، ص40

(15) خالص الأشعب، المدينة والتحضر، حضارة العراق، ج5، بغداد، 1985، ص 156–172

(16) رائد رزق الشرع، مدينة أيلة في الفترة الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، اربد–الأردن، 1994، ص8

(17) خالص الأشعب، مرجع سابق، ص 163

(18) رائد رزق الشرع، مرجع سابق، ص 9

(19) عبدالرحيم غالب، مرجع سابق، ص362

(20) عبدالجبار ناجي ، مرجع سابق، ص 157

(21) نفس المرجع السابق، ص 133–134

(22) الطبري، تاريخ الطبري، ج9، دار سويدان، بيروت، د ت، ص 915

(23) محمد عبدالستار عثمان، مرجع سابق، ص 110

(24) نفس المرجع السابق، ص 111

(25) عبدالباقي ابراهيم، مرجع سابق، ص 40

(26) عادل عبدالله الخطاب، مرجع سابق، ص 201

(27) رائد رزق الشرع، مرجع سابق، ص 11

(28) عبدالباقي ابراهيم، مرجع سابق، ص 34

(29) عبدالباقي ابراهيم، مرجع سابق، ص 35–36

(30) رائد رزق الشرع، مرجع سابق، ص 12

(31) عادل عبدالله الخطاب، مرجع سابق، ص 205

(32) حمدان عبدالمجيد الكبيسي، أنظمة المدينة العربية، جامعة بغداد، بغداد، 1991، ص 84–85

(33) محمد عبدالستار عثمان، مرجع سابق، ص 119

(34) أبن منظور، لسان العرب، ج 17، بيروت، 1970، ص288–289 .

(35) عيسى سلمان حميد، مرجع سابق، ص 8 .

(36) نفس المرجع، ص 11 .

(37) عبدالجبار ناجي، مرجع سابق، ص 216–217 .

(38) نفس المرجع، ص 218 .

(39) نفس المرجع، ص 210–214 .

(40) محمد عبدالستار عثمان، مرجع سابق، ص 218 .